الخاتمة والنتائج

obeikandl.com

obeikandl.com

الخاتمة

إن الدبلوماسية التي تسير عليها حكومة المملكة العربية السعودية لم تكن وليدة اليوم، بل هي امتداد لواقع التنظيم الإسلامي الذي بدأ العمل به منذ ظهور الإسلام على يد سيّد البشرية، ونبي الهدى رسول الله محمد بن عبدالله عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم، حيث انطلقت الدعوة الإسلامية من مكة المكرمة، وما واجهته هذه الدعوة منذ بدايتها من صعوبات وتحديات كبيرة، ولكن بفضل الله ثم بفضل السياسة النبوية لرسول الله ﷺ في دعوته لقومه، وفي الطريقة المحبّبة للنفوس التي سلكها في عرض دعوته على القبائل، وتوجهه من مكة المكرمة إلى الطائف، بعدما ضيق عليه قومه، وما كان منهم من إنكار لهذه الدعوة، حتى إنه لم يتمكن من العودة إلى مكة المكرمة إلاّ تحت حماية المطعم بن عدي وأولاده (وهو ما يعرف الآن بالحصانة الدبلوماسية)، ودخل مكة المكرمة، وتابع دعوته السريّة، ولقى وأصحابه أشد الأذى حتى إنهم أكلوا ورق الشجر وصبروا، واحتسبوا ذلك عند الله، إلى أن أمره الله تعالى بالجهر بدعوته فخرج عليه الصلاة والسلام وأصحابه من دار الأرقم بن أبي الأرقم إلى الكعبة، وأقاموا الصلاة أمام قريش، فاشتد غيظها، ووضعت أشد العراقيل والأذى لمحمد ﷺ وأصحابه، فأمر أصحابه في أول الأمر بالهجرة إلى الحبشة لعلهم يجدون بعض الحماية، ومكث رسول الله ﷺ بين ظهراني قريش ثلاثة عشر عاماً. وهو يدعو إلى توحيد الله بالحكمة والموعظة الحسنة، متمثلاً في كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وبدأ اتصاله بجماعة من الأنصار الذين قدموا من يثرب للحج، وتم الاجتماع السرّي عند العقبة، ودعاهم إلى الإسلام، فهيّأ الله له قلوباً واعية، وآذاناً صاغية، حتى تم الاتفاق على اللقاء في العام المقبل عند العقبة، ثم أمره الله بالهجرة إلى المدينة المنورة، فوجد ممن استقبله من الأنصار، مناصرة وحماية، حتى استطاع أن يؤسس دولته، بعدما سعى في الصلح بين الأوس والخزرج. وانتهت الحروب التي كانت بين القبيلتين اللتين كانتا تسكنان المدينة. كما آخى بين المهاجرين والأنصار، وكتب صحيفته الميثاق المكونة من (47 مادة)[1]، التي حدد فيها العلاقة بين مكونات المجتمع المدني بما فيه من القبائل والديانات المختلفة، وبخاصة الديانة اليهودية، لتكون أساساً لقيام الدولة الإسلامية، على مبادئ العدل، وإزالة الظلم عن الناس، وتدعو إلى توحيد الصفوف، وإلى السّلم بين المسلمين والبشريّة جمعاء، ولتكفل الحياة الحرة الكريمة في ظل كلمة التوحيد.

قامت الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة، واتسع نطاقها، وأخذت الدعوة الإسلامية في الانتشار السريع عن طريق تجهيز السرايا والغزوات إلى البلدان، والقبائل المجاورة، حتى كملت البنية الأساسية، وقويت الدولة، وكان الله مؤيداً لرسوله ﷺ وناصراً له، وكانت النتيجة الحتمية الانتصارات المتوالية على كل من وقف أمام هذه الدعوة السماوية، وتم لرسول الله ﷺ انتصاره على قريش في أولى غزواتهم ضد رسول الله ﷺ ومن معه في بدر الكبرى، ولم ينس رسول الله ﷺ ما فعله المطعم بن عدي

(1) يمكن الرجوع للمواد بالجزء الأول من هذا الكتاب.

من حمايته أثناء دخوله ﷺ مكة المكرمة بعد عودته من الطائف فقال ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حيّاً فطلبني ثم سألني في هؤلاء النتنى من قريش لوهبتهم له»[1].

وبعد صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة أرسل أصحابه بالكتب في بعثات للدعوة إلى الإسلام، لثمانية من الملوك والأمراء الذين كانت لهم الزعامة على أجزاء كبيرة من المعمورة، مثل كسرى ملك الفرس، وهرقل ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة، وغيرهم من الأمراء الذين كانوا يحكمون السواد الأعظم من العالم آنذاك.

وكان من نتائج تلك الرسائل، والبعوث، الاستجابة الكبيرة لهذه الدعوة، مما أدى إلى دخول أمم وشعوب، وقبائل، تحت راية الإسلام العظيم، ولا شك أن الدعوة واجهت في بداية عهدها محاربة وعداءً عظيمين، ولكن بفضل الله، ثم بفضل عزيمة الرجال الصادقين بإيمانهم بالله، استطاعت الدعوة أن تقف شامخة عالية في مواجهة تلك التحديات، شاهداً على عظمة هذا الدين الإسلامي الحنيف والدعوة إليه.

وفي السنة الثامنة من الهجرة دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً منتصراً وقابل الذين ناصبوه العداء من قريش، بالتسامح واللين، وتعهدهم بالرحمة والعفو عند المقدرة.

ثم حمل الراية بعده رجال أكفاء تعلّموا على يد رسول الله ﷺ وتخرجوا في مسجده عليه أفضل الصلاة والسلام، إنهم الخلفاء الراشدون المهديون، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومن تبعهم وسار على هديهم من

(1) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ج3، ص38.

أصحابه البررة الميامين رضي الله عنهم أجمعين، فوصلوا بالدعوة الإسلامية إلى معظم دول العالم المجاور، فدخل كثير من القبائل، والدول تحت حكم الإسلام.

وكان من نتائج تلك السياسة النبوية لرسول الله ﷺ إرساء البنية الأساسية للدولة الإسلامية على هدي من شرع الله، لتتسع رقعة الدولة الإسلامية، ويزداد أنصارها في عهد خلفائه رضي الله عنهم أجمعين الذين حملوا راية الدعوة الإسلامية ودافعوا عنها لتصبح كلمة الله هي العليا.

ولقد استمرت الدعوة الإسلامية طيلة حكم الدولة الأموية في المشرق وفي الأندلس في الانتشار، وكذلك خلال الحكم العباسي، حتى وصل الإسلام إلى جبال فرنسا غرباً، وإلى الصين شرقاً، وبذلك اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، التي أخذ حكامها على عاتقهم نشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى أصبحت الدولة الإسلامية وشعوبها مهيبة الجانب.

غير أنه بعد أن انشغل الحكام بالدنيا ومفاتنها عن الدعوة الصحيحة، سقطت الدولة العباسية في بغداد عام 656هـ، وانقسمت الدولة الإسلامية بعد ذلك إلى دويلات صغيرة، سادها الضعف بعد القوة، والتفكك بعد الوحدة، حتى هيّأ الله لدعوته رجالاً أخذوا على عاتقهم نصرة هذه الدعوة، فنصرهم الله، ومن هؤلاء: صلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، وشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وأمثالهم من السلف الصالح في هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين.

ثم وصلت الدولة العثمانية إلى أوج عزّها، واتساع رقعتها وبناء

صرحها بقوة الإسلام، فكان لها دور في فتح بلدان جديدة، ونشر الدعوة الإسلامية في كثير من الدول الأوروبية، وقد ضمت الدولة العثمانية كثيراً من الدول العربية والحجاز تحت حكمها، إلا أنه بعد تسلط الأشرار عليها أخذت في الضعف، لأنها انصرفت عن جادة الحق والصواب.

وفي تلك الحقبة من ضعف الدولة العثمانية، قامت حركة إسلامية سلفية توحيدية بأرض شبه الجزيرة العربية، على أساس من الشريعة الإسلامية الغرّاء ووصلت أسبابها بدولة آل سعود مستندة على ميثاق الدرعية، الذي تم بين الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمهما الله ـ عام 1157هـ، فبدأت الدبلوماسية السعودية ـ من خلال البعوث والرسائل الدعوة إلى دين الله الصحيح، ونبذ الشرك والضلال، مقتدين في ذلك بدعوة سيد الأولين والآخرين نبي الهدى محمد بن عبدالله عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد وجدت هذه الدعوة صعوبات وعقبات كأداء، إلا أنها استطاعت ـ بالصبر والسياسة الحكيمة والدعوة إلى الله بالحكمة. وبفضل الله ثم بفضل من أخلصوا النية والعمل لله ـ استطاعت أن تعطي ثمارها، وأن تقف الدولة السعودية في أطوارها المختلفة موقف المدافع عن الإسلام، والمطبق لأحكامه السماوية السمحة.

وكان ذلك نابعاً من الأهداف والأسس التي بنيت عليها هذه القاعدة المتينة وهي كلمة التوحيد، واتباع ما جاء في كتاب الله وسنّة نبّيه المطهرة، ونبذ ما سوى ذلك، وقد وجدت هذه الدولة عند تأسيسها أعداءً أرادوا وأد هذه الدعوة وهذه السياسة بكل ما أوتوا من قوة، ولكن الله ردّ

كيدهم في نحورهم، وكان من نتائج ذلك أن قدّر الله للدولة السعودية أن تبقى، وترى من العزة والاتساع، والقوة والوحدة بين قبائلها المتناحرة، مصداقاً لوعد الله بأن ينصر من نصر هذا الدين، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...**﴾[1].

وسار حُكام هذه الدولة منذ تأسست عام 1139هـ/1726م أي حوالي مائتين وسبع وثمانين سنة على النهج الصحيح الذي سار عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام، ومن سار على خطاهم من السلف الصالح ـ رضي الله عنهم أجمعين. ولا يزالون إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ونتيجة لذلك حقق الله وعده الكريم بأن استخلفهم في الأرض، حتى اتسعت رقعة هذه الدولة من قرية في وسط شبه الجزيرة العربية هي الدرعية، إلى أن شملت معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية، بما فيها أقدس مكانين على ظهر الأرض، وهما مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وأسبغ الله على هذه البلاد من النعم الوفيرة، التي تأتي من كل مكان، فلا يوجد نوع مما خلق الله في هذه الدنيا من الطيبات، إلا وهو موجود في هذا البلد الآمن ـ بفضل الله ـ ثم بفضل مناصرة من تولى حكم الدولة السعودية لهذا الدين الحنيف، وما تبذله هذه الحكومة ـ وفقها الله وأدام أمنها وعزها ـ من جهود موفقة، وسياسة حكيمة،

(1) سورة: النور، الآية: 55.

ومساع حميدة، ومصروفات باهظة، كل ذلك بلا شرط ولا منة، حتى أصبحت لها مكانة مرموقة، وشأن عظيم بين دول العالم، بما حققته من تقدم وازدهار، فأصبحت مضرباً للمثل في أمنها، وثقافتها الدينية والدنيوية، وما تحقق لها من النهضة والتقدم الزراعي والصناعي، وذلك بما أفاء الله عليها من الموارد الطبيعية من الذهب الأسود، والأحمر من كنوز الأرض، وبذلك تحقق وعد الله الكريم، إن الله لا يخلف الميعاد.

كما أن الدبلوماسية السعودية ـ بفضل الله ـ أخذت مكانتها، وأصبحت رائدة لها وزنها وثقلها في المحافل الدولية، والمنظمات العالمية.

وبتوفيق من الله تم تحليل الأسس التي بنيت عليها أهداف ومميزات الدبلوماسية السعودية، ابتداء من تأسيس مديرية الخارجية عام 1345هـ/1925م بعد دخول الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إلى مكة المكرمة، عام 1343هـ/1924م، ثم تحولت المديرية إلى وزارة الخارجية عام 1349هـ/1930م، وحتى الانتهاء من الطبعة الرابعة لهذا الكتاب في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ـ حفظه الله ـ ومن خلال هذا التحليل تم إبراز دور السياسة السعودية في استقرار وتطور هذا الكيان السياسي العظيم.

فمنذ توحيد هذا الكيان بزعامة الملك عبدالعزيز أخذت اعترافات الدول الكبرى تتوالى فقررت خمس من دول العالم إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة السعودية الفتية، وذلك بداية من عام 1344هـ/1925م، وهي: الاتحاد السوفييتي، والحكومة البريطانية، والحكومة الهولندية، والحكومة الفرنسية، فالحكومة التركية، اعترفت جميعها بكيان الدولة السعودية، لأنه ثبت لديها أن هذه الدولة قادرة على القيام بمسؤولياتها

نحو إيجاد الاستقرار والأمن في المنطقة، ولأن الحكم السعودي حكم قوي بني على أسس متينة فقد جعلت دستورها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

فتوالت الاعترافات بهذه الدولة، وتبع ذلك إقامة علاقات دبلوماسية معها، حتى وصل عددها عند الانتهاء من هذا الكتاب من السفارات والقنصليات والهيئات الدبلوماسية، والمنظمات الدولية التي تعمل بالمملكة العربية السعودية كالآتي: (105) سفارات، و(61) قنصلية، و(19) منظمة وهيئة إقليمية ودولية. أما الممثليات الدبلوماسية السعودية في الخارج فقد بلغت (80) سفارة، و(10) قنصليات، و(3) وفود، ومكتب تجاري واحد.

وبالنظر إلى الدور السعودي نجد أن الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ لم يغادر مملكته إلاّ في النادر، فعندما وجد الفرصة مهيأة سافر من جدة إلى مصر لمقابلة الرئيس الأمريكي روزفلت، فقابله في البحيرات المرة بالإسماعيلية، كما قابل رئيس وزراء بريطانيا تشرشل بالفيوم، وذلك في الفترة ما بين 2 ـ 6 من ربيع الأول 1364هـ الموافق 15 ـ 19 فبراير 1945م.

فكان نجاح تلك الزيارة نجاحاً يفوق التصور، وخاصة في تلك الفترة، رغم ضعف الإمكانات، حيث صرح الرئيس روزفلت بعد عودته في الكونجرس بقوله: «لقد وعيت عن مسألة الجزيرة العربية تلك المشكلة بحذافيرها، ومشكلة المسلمين، ومشكلة اليهود، وبحثت عنها في حديث دام خمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كنت أستطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة».

وهذه شهادة من زعيم أكبر دولة في العالم، مما يدل دلالة واضحة على حنكة وبعد نظر الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ الذي يشهد له القاصي والداني بأنه الرجل الذي وهبه الله كثيراً من الصفات الحميدة التي قلما تجتمع في رجل واحد، وأهمها سلامة العقيدة، والصدق مع ربه، والشجاعة في الحق، و الكرم، والصدق في المواثيق، وحبه للناس، والتواضع، وبعد النظر، والحكمة، والعدل بين الرعية، وإنزاله للناس منازلهم، والرجوع للحق، والنصح لله ولرسوله، ثم السعي إلى مصلحة بلاده وشعبه، والأمة العربية والإسلامية، وغيرها من الصفات الحميدة، وهذا كله موهبة وتوفيق من الله.

كان الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ينظر إلى مُلْك إنجلترا الواسع وقواتها، وذكر ذلك للجنرال كلانيون، فرد عليه الجنرال بقوله: «إن ما ذكرت صحيح، ولكن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلاّ في مئات السنين، ولكن ألا يصح لنا نحن الإنجليز أن نعجب بك فإنك في ثلاثين سنة قد أسست ملكاً واسعاً، وإذا اطّرد لك هذا الفتح، وهذا التقدم، فأظن أنه في نصف هذه المدة التي أسسنا فيها ملكنا سوف تؤسس أنت دولة مثل أو أكبر من دولتنا».

وبسياسته الحكيمة سعى لإيجاد علاقة قوية بين دولته والدول العربية المجاورة، فاشترك في تأسيس جامعة الدول العربية مع أشقائه ملوك ورؤساء الدول المستقلة في ذلك الوقت من عام 1364هـ/1945م، وهي سبع دول: سوريا، والأردن، والعراق، والمملكة العربية السعودية، ولبنان، ومصر، واليمن، ثم تتابعت الدول العربية بعد استقلالها في

الانضمام إلى تلك الجامعة حتى وصلت الآن إلى اثنتين وعشرين دولة عربية.

ومن نتائج سياسته أيضاً انضمام المملكة سنة 1364هـ/1945م إلى المحافل الدولية، فأصبحت عضواً في الأمم المتحدة، وسارت على طريق الخير، وسياسة لا تحيد عنها وهي الاهتمام بشئون المملكة وشعبها، وقضايا العالم العربي والإسلامي، مع عدم التدخل في الشئون الداخلية لأي بلد آخر، وأصبح للمملكة دور بارز وفعال للمساعدة على إنهاء القضايا العربية والإسلامية، سواء بالوقوف سياسيّاً في المحافل الدولية، أو ببذل المساعدات دون شرط أو منَّة، والشاهد على ذلك ما بينته في هذا الكتاب مثل قضية فلسطين وقضية أفغانستان، وأزمة الخليج عند احتلال العراق لدولة الكويت، والذي يعتبر بحق وبكل فخر مهندسها وقائدها هو خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ رحمه الله ـ وكذلك مناصرة إخواننا في البوسنة والهرسك، والصومال، وإعمار لبنان، وغيرها من القضايا التي تهم العالم الإسلامي والعربي. وبذلك نستطيع أن نؤكد نجاح سياسة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ في توحيد مناطق شبه الجزيرة العربية، وتأسيس رابطة سياسية بينه وبين بلدان العالم ممثلة في وزارة الخارجية التي نظمت البعثات الدبلوماسية إلى المحافل الدولية، حتى أصبح للمملكة شخصيتها الإسلامية المتميزة بين حكومات العالم بتحكيمها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبشعارها الخالد الذي يحمل كلمة التوحيد، وبمساندتها للتضامن الإسلامي، ودعمها للمنظمات والأقليات الإسلامية مادياً ومعنوياً.

إن الآفاق المستقبلية للدبلوماسية السعودية مزدهرة، ومتقدمة ـ بفضل الله ـ ثم بفضل الجهود المخلصة والسياسة المتّزنة الحكيمة التي سار ويسير عليها ملوك هذا البلد، وقد أصبح بوسع المملكة ـ بعون الله وتوفيقه ـ أن تحافظ على التوازن في العلاقات السياسية ضمن خطط مدروسة، سواء على المستوى الداخلي أو على المستوى الدولي، حيث ستخطو المملكة العربية السعودية، خطوات جبارة ومتزنة وسيكون لها شأن عظيم بين دول العالم أكثر مما هي عليه الآن ـ بحول الله وقوته.

ومن هذا التحليل الدقيق، وبالرجوع قليلاً إلى الماضي القريب، ولما كانت عليه هذه البلاد، ثم نظرة بتعقل إلى ما نحن فيه، وهذا الأمن الذي نعيشه، وهذا التطور السريع الذي تشهده هذه البلاد، نرى أن هذا كله لم يأت من فراغ، كما أنه لم يكن مصادفة، وإنما هو نتيجة للسياسة الحكيمة التي سارت عليها المملكة في إقامة وتطبيق شرع الله تطبيقاً عملياً يجعل دستور هذه البلاد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتراث السلف الصالح.

ثم إن المملكة أخذت بالمبدأ السليم وهو التخطيط والدراسة، فأنشأت بادىء ذي بدء هيئة التخطيط، ثم تحولت إلى وزارة للتخطيط عام 1395هـ/1975م. وكانت أول خطة خمسية للمملكة عام 1390هـ/1970م في عهد الملك فيصل ـ رحمه الله ـ الذي رسم بحكمته، وبُعد نظره المستقبلي، هذه السياسة الحكيمة للتخطيط للأجيال الحاضرة والقادمة. وتوالت بعد ذلك الخطط الخمسية

الواحدة بعد الأخرى، كل ذلك من أجل رفاهية أبناء الشعب، وبناء مجتمع تسوده روح التكافل الاجتماعي.

وكما قال صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ أمير منطقة مكة المكرمة السابق، في كلمته أمام ندوة مقومات التنمية الاقتصادية قال سموه: «لقد أفاء الله سبحانه وتعالى على هذا البلد العظيم من الثروات الطبيعية والخير العميم، ويسّر لها الحكم الرشيد الذي يستمسك بشرع الله، ويقوم على تعاليم الإسلام، فقد أنفقت الدولة أكثر من ستمائة بليون ريال لاستكمال البنية التحتية في جميع أرجاء البلاد، كقاعدة لكل برامج التنمية الاقتصادية الشاملة في مختلف القطاعات، وكمنطلق لتنويع مصادر الدخل القومي، ولإنشاء صناعة حديثة متطورة، وترسيخ اقتصاد مزدهر شامل، لقد بدأت خطة التنمية السادسة للبلاد من عام 1420هـ/2000م، وتمتد حتى عام 1425هـ/2005م لقد كان الإنسان السعودي رجالاً ونساءً هو الهدف الأساسي الذي تخدمه خطط التنمية، وتعمل مختلف برامج التطور لإسعاده، وهو من ثم المقياس الحقيقي لمدى نجاح هذه الخطط».

ونتيجة لهذه الدراسة التحليلية للدبلوماسية السعودية منذ نشأتها، وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ـ سدّد الله على الخير خطاه ـ وما مرت به من أطوار نقول بكل فخر واعتزاز: إننا محسودون على ما نحن فيه، من أمن مستتب واستقرار اقتصادي متين، وثقافة عالية، وحالة اجتماعية متماسكة، ومستقبل زاهر إن شاء الله ـ رغم أنف الحاقدين والحاسدين، فلا شك أن كل ذي نعمة محسود عليها.

وبتتبعنا للأساس الذي قامت عليه المراسم السعودية، نجد أن أساس هذه التسمية، نابع مما يُسمى بالحاجب، وأن وظيفة الحجابة الدائمة رسمياً لم تعرف في عهد رسول الله ﷺ، مع العلم أن بعض الصحابة كان يقوم بهذه الوظيفة من وقت لآخر، ومن الذين كانوا يقومون بالحجابة في عهد رسول الله ﷺ أنس بن مالك، وأنسة، ورباح، رضي الله عنهم، ولقد وجدنا أن أول من اتخذ الحجاب بصفة رسمية هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه، فقد رأى أن وظيفة مثل وظيفة الحاجب يمكن أن تحدّد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتقلّل بذلك من الزحام على مجالس الخليفة، وتمنع عامة الناس الذين ليس لهم حاجة ليفسحوا المجال أمام الخليفة للنظر في أمور خلافته التي اتسعت رقعتها، وبعد أن انتقلت الخلافة إلى بلاد الشام، واتصلت بالعالم الخارجي، مثل دولة الروم، وغيرها من الدول المجاورة، ولكثرة الوفود التي تصل إلى مقرّ الخليفة.

وفي الوقت نفسه تطوّرت الحجابة في الدولة الأموية بالأندلس، وأصبح للحاجب شأن بجانب الخلفاء، حتى إنه دعي له على المنابر، وضربت السكة باسمه بعد الخليفة.

أما في الدولة العباسية فقد ارتفعت مكانة الحاجب وأصبح يُستشار في كثير من مهام الدولة، وفي توجيه سياستها.

وفي الدولة السعودية الأولى والثانية لم تعرف وظيفة الحاجب، ولكن هناك وظيفة مماثلة وهي رئيس خويا الإمام (أو رئيس حرس الإمام) الذي يقوم ببعض المهام البسيطة، مثل تقديم أمراء البلدان ورؤساء العشائر للإمام.

كما عرف رئيس شئون البادية إبراهيم بن جميعة الذي قام بمثل هذه المهمة في أول عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وأول حاجب في الدولة السعودية الثالثة هو الأستاذ فؤاد شاكر ـ رحمه الله ـ، الذي عين بتاريخ 20 من محرم 1366هـ وأطلق على وظيفته «تشريفاتي قصر الملك» وكان يقوم بتقديم كبار الضيوف من الوفود التي تصل إلى المملكة، سواء لأداء الحج أو العمرة، أو يكون وصولهم في مهمات رسمية، ويقوم بتحديد مواعيد مقابلاتهم، ويرافقهم أثناء دخولهم لمقابلة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ.

وفي أول عهد الملك سعود ـ رحمه الله ـ أصبحت الحاجة ملحّة لوجود قسم للتشريفات الملكية بالديوان الملكي، نظراً لوصول كثير من ملوك ورؤساء وأمراء بعض الدول الإسلامية والعربية والصديقة في زيارات رسمية للمملكة.

فصدر الأمر الملكي في غرة شهر صفر 1375هـ بتأسيس رئاسة التشريفات الملكية، وعين أول رئيس لها وهو الأستاذ صالح إسلام ـ رحمه الله ـ، غير أنه لم يبق طويلاً فخلفه اللواء علي جميل ـ رحمه الله ـ، ومن بعده تولى رئاسة التشريفات كل من الأستاذ عبد المنعم عقيل في الفترة الأولى، ثم الأستاذ فؤاد ناظر، وخلفه الأستاذ محمد بن سليمان العنبر، ثم الأستاذ عبدالمنعم عقيل في الفترة الثانية، وبذلك يكون قد تعاقب على رئاسة التشريفات الملكية خمسة رؤساء في فترة زمنية مدتها ثماني سنوات من غرة صفر 1375هـ إلى 13 من ذي القعدة 1383هـ.

أما المؤسس الحقيقي للمراسم السعودية فهو بحق معالي السيد

أحمد عبدالوهاب[1]، الذي تولي رئاسة هذه الدائرة في الفترة من 26 جمادى الآخرة 1384هـ إلى 21 من ذي الحجة 1405هـ، وفي عهده شهدت المراسم الملكية تطورا ملموساً، مع التطور العظيم الذي وصلت إليه المملكة في جميع المجالات، فقد وجد الدعم المتواصل خلال عهد الملك فيصل ـ رحمه الله ـ الذي أسس في عهده إدارة الأوسمة، وإدارة هندسة وصيانة القصور، وبعض الأقسام الأخرى وأيضاً تم تحويل اسم التشريفات الملكية إلى المراسم الملكية وذلك في عام 1389هـ.

كما بدأ بناء قصور للضيافات في منى بدلاً من الدور التي كانت تستأجر للضيوف.

كما وجد أيضاً دعماً من الملك خالد ـ رحمه الله ـ وفي عهده انضمت إدارة القصور والضيافات الحكومية إلى المراسم الملكية، بعد أن كانت تابعة لوزارة المالية والاقتصاد الوطني إدارياً ومالياً، وعملها خاص بالمراسم.

وأمر الملك خالد ـ رحمه الله ـ بترميم وبناء بعض القصور، بمكة المكرمة، والمدينة المنورة، وتسليمها لإدارة المراسم الملكية لتجهيزها لإسكان ضيوف الدولة.

ثم جاء الدعم المتواصل والتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وبعد نظره أمر بأن تكون هناك قصور للضيافات تبنى على هيئة فنادق، تديرها شركة انتركونتيننتال فبدأ بقصر المؤتمرات بالناصرية بالرياض، ثم تلاه قصر المؤتمرات بجدة ومكة

(1) أول من تعين على مرتبة وزير من الرؤساء السابقين للمراسم الملكية.

المكرمة، والطائف والقصيم، وحايل، وأبها، والظهران، والأحساء، وجهزت بكل ما تحتاج إليه من أثاث وأجهزة اتصال عالمية، كما تحتوي هذه المباني على صالات متعددة لعقد مؤتمرات القمة، ويشرف على إدارتها نخبة من الرجال الأكفاء، وكل ذلك من أجل راحة وسلامة الضيوف.

ثم جاء الرئيس السابع معالي الأستاذ محمد بن عبدالرحمن آل الشيخ، وتم تعيينه بتاريخ 15 ربيع الأول 1406هـ، وحتى تاريخ 1426/8/17هـ، وقد قام بتطوير وتحديث هذا الجهاز حتى أصبح بحق من أحدث الأجهزة المتقدّمة في دول العالم العربي، وتعتبر المراسم الملكية الآن من الأجهزة المكتملة بجميع أقسامها، وقد بيّنت ذلك في الفصل المخصص للمراسم الملكية، وما شهدته من تطور سريع خلال واحد وخمسين عاماً مضت من عمرها، وما أتوقعه من ازدهار على يد رجالها المخلصين، حتى تكون المراسم نموذجاً يقتدى به في جميع مراسم الدول ـ إن شاء الله ـ.

وسار خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ـ حفظه الله ـ على نهج سلفه بالاهتمام بجميع أمور الدولة ومرافقها ومنها المراسم الملكية، ونتيجة لذلك أصبحت المراسم الملكية السعودية جهازاً قائماً بجميع أقسامه واختصاصاته، وارتفع حجم ميزانيتها.

أما الرئيس الثامن الذي تولى رئاسة المراسم الملكية معالي الأستاذ محمد بن عبد الرحمن الطبيشي الذي صدر الأمر الملكي الكريم بتعيينه برقم أ/271 وتاريخ 17 شعبان 1426هـ الموافق 2005/9/21م فقد قام بجهود موفقة لتحديث وتطوير أجهزة المراسم الملكية.

ولم نكتف في كتابنا هذا بدراسة المراسم الملكية السعودية والترتيبات التي تسير عليها، بل عملنا على مقارنتها بمراسم بعض الدول العربية والإسلامية في استقبال وتوديع الضيوف، و ما تقدمه من كرم الضيافة العربية، منذ أن يصل الضيف إلى أرض المملكة، وحتى مغادرته، وما تقدمه الدولة ممثلة في المراسم من حُسن الاستقبال، وكرم الضيافة، وما يحتاج إليه من سكن ومواصلات وإخبار الجهات المعنية لتقوم كل جهة بما يخصها، سواء كان قدوم ضيف الدولة في حج أو عمرة أو في مهمة رسمية، وما تقوم به المراسم الملكية من إجراءات وترتيبات خلال تلك الزيارات، وما يلزمها من مهام، وحسب صفة وأهمية الضيف، فهناك المسئولون عن ترتيبات ما يلزم الضيف وهم الأمناء، وهناك إدارة الحفلات والمآدب التي تشرف على إعداد بطاقات الدعوة لمشاركة خادم الحرمين الشريفين أو سمو ولي عهده في استقبال الضيف القادم، وكذلك رقاع الدعوة للحفلة التي سوف تقام للضيف، فهناك دعوة للحفلات الرسمية الموسّعة، وهناك حفل للزيارات الخاصة، وكذلك حفل مصغّر لزيارات العمل، وما يلزم ذلك من اختيار أصناف الطعام، وترتيب الموائد الرسمية، ومراسم حفلات الحج التي ليس لها مثيل بدول أخرى، لما خصّ الله به هذه البلاد من تكريم كبار وفود بيت الله، وهي عادة منذ عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وسار عليها أبناؤه البررة من بعده، وحتى الوقت الحاضر، ولما لهذا الحفل من أهمية كبرى إذ يلتقي فيه كبار وفود الحج، ورؤساء بعثات الحج، والهيئات الدبلوماسية، وكبار ضيوف الدولة، وكبار ضيوف رابطة العالم

الإسلامي، وكبار ضيوف وزارة الإعلام، في شكل مؤتمر دولي يجمع بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. كما يتضمن هذا الفصل المراسم التي تتخذ عند تقديم أوراق اعتماد السفراء للملك، موضحاً النقاط والخطوات التي تتم في تلك المناسبة، ومراسم تقديم الأوسمة بدرجاتها من قلادة إلى وشاح ووسام وأعلى الدرجات هما «قلادة بدر الكبرى» وعادة يقلدها الملك لضيفه من الملوك أو الرؤساء المسلمين، و«قلادة الملك عبدالعزيز» وعادة يقلدها الملك لملوك أو رؤساء الدول الأجنبية، وآخر من تقلّد تلك القلادة هو الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش ـ حيث قلده إياها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ عند مقابلته له بقصر السلام بجدة مساء يوم الجمعة 26 من شوال 1416هـ، كما قلد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله عندما كان ولياً للعهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني نفس القلادة لفخامة الرئيس الدكتور توماس كليستيل رئيس جمهورية النمسا في الفترة ما بين 10 ـ 12 صفر 1425هـ الموافق 31 مارس ـ 2 إبريل 2004م. كما قلد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز قلادة الملك عبدالعزيز لصاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت يوم السبت 11 صفر 1427هـ الموافق 11 مارس 2006م.

وهناك مراسم رفع الأعلام السعودية بأشكالها ومقاساتها المختلفة، مثل العلم الوطني الذي يرفع عند الزيارات الرسمية على المطار، وعلى الميادين التي يمر بها الضيف، وعلى الدوائر الحكومية، وعلى دور

الضيافة، وهناك مقاس كبير يستخدم في الأعياد والعرضات، والدورات الرياضية، والمناسبات الرسمية، ويوجد حجم صغير ليوضع على السيارة وطاولة الاجتماعات. وهناك العلم الخاص بالملك الذي يتميز بشعار المملكة الذهبي على الجهة اليمنى من أسفل العلم، وهناك علم السارية، يرفع على مقرّ سكن الملك في الداخل وعند الزيارات لخارج المملكة، وعلى مقرّ مكتبه بالديوان الملكي[1]، وداخل الصالون الرئيسي والمكتب بالديوان الملكي وبالسكن يرفع على قاعدة فضية، وكذلك منه مقاسات صغيرة ترفع على السيارة عند الزيارات التي يقوم بها ملوك ورؤساء وأمراء الدول، وعلم الطاولة عادة يثبت على قاعدة صغيرة على طاولة الاجتماعات الموسّعة، أو في مؤتمرات القمة.

ونظراً لأهمية المؤتمرات فقد شمل هذا الكتاب ميثاق جامعة الدول العربية وتاريخ مؤتمرات القمة العربية، ومكان انعقادها، وأهم نتائجها، وكذلك بالنسبة لميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي، ومؤتمرات القمة الإسلامية ومكان انعقادها، وأهم نتائجها، وميثاق مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وتاريخ مؤتمرات القمة للمجلس الأعلى، ومكان انعقادها، وأهم نتائجها، وميثاق رابطة العالم الإسلامي، وتاريخ ومكان انعقاد دورات المجلس الأعلى، وأهم القضايا الإسلامية التي بحثها المجلس في دوراته.

أما أجهزة الأمم المتحدة، فقد اقتصر فيها على المنظمات التابعة لها وتاريخ انضمامها، وأهدافها، وما صدر عن مؤتمر السكان الأخير الذي

(1) أمر خادم الحرمين الملك عبدالله عندما كان ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني برفع علم سارية مقاس كبير 18×12م وبارتفاع السارية 52م يرفع على الدواوين الملكية أثناء تواجد الملك أو سمو ولي العهد، وقد رفعت على الدواوين بالرياض وجدة.

عقد بالقاهرة عام 1415هـ/1995م، وردود الفعل تجاه ذلك المؤتمر، وما صدر عنه.

وحيث إن مثل هذا الأمر يحتاج إلى توثيق تلك المنظمات الإسلامية، والعربية، والدولية، لما لهذه الفقرات من أهمية بالنسبة للموضوع.

ولأن القرارات التي تصدر عن تلك المنظمات بالغة الأهمية ترتكز عليها الدول الأعضاء في تلك المنظمات لحلّ النزاعات المتعلقة بين دولها ولنزع فتيل الحرب التي قد تنشب أحياناً بين بعض الدول، والمشكلات السياسية التي تتسبب في أزمات بين بعض تلك الدول، ولكون المملكة عضواً في جميع هذه المنظمات العربية والإسلامية والدولية، فقد تم بيان أشكال هذه المؤتمرات، وأهم ما صدر عنها من قرارات حول ما يدور في العالم من قضايا مصيرية، ومحاولة توضيح الدور الإيجابي للمملكة العربية السعودية من خلال تلك المؤتمرات، لرسم استراتيجية قوية واضحة المعالم، كما أن المملكة بحضورها هذه المؤتمرات والمشاركة الفعّالة في أعمالها أثبتت أن لها دوراً بارزاً في المحافل الدولية وصوتاً مسموعاً على جميع المستويات.

ولأهمية الزيارات الرسمية فقد تم توثيق تلك الزيارات التي قام بها ملوك هذه البلاد، من عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ بعد أن تولوا الحكم، ووثقت الزيارات مبيّناً أهم ما صدر عن تلك الزيارات من نتائج سياسية أو اقتصادية، أو ثقافية، وما وجدته في البيانات المشتركة التي تصدر عادة بعد الزيارات، و عن مؤتمرات القمة، وعن زيارات الملوك والرؤساء والأمراء إلى المملكة في عهدهم.

وفي الوقت نفسه تم تحديد تاريخ زيارات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله عندما كان ولياً للعهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، وتاريخ زيارات صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد عندما كان النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، والزيارة الأخيرة لأمريكا للأمم المتحدة والمغرب عندما تولى منصب ولي العهد واقتصر ذلك على تاريخ تلك الزيارات.

أرجو أن يكون كل ما أوردته هنا تحليلاً واقعياً، مستمداً من السياسة الحكيمة التي أرسى قواعدها مؤسّس هذا الكيان وموحّد المملكة، صقر الجزيرة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وما سار عليه أبناؤه من بعده، حتى تطورت هذه البلاد وازدهرت، ومدت يدها للقاصي والداني بالمساعدة تارة، وبالتأييد في المحافل الدولية تارة أخرى، وحققوا ما كان يتطلع إليه والدهم ـ رحمه الله ـ من أن تكون هذه البلاد مصدر خير لكل قاصد، ومعيناً لكل محتاج، ومهتمة بشعبها وأحوال رعاياها، وبأحوال وقضايا المسلمين في كل بقاع الأرض.

وقد اجتهدت في توثيقها من المصادر والمراجع التي تحصلت عليها، لعل الله أن يقبله عملاً نافعاً، ومرجعاً يستفيد منه القارئ والباحث، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله، وصلاة ربي على خير خلقه محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون.

المؤلف

د. عبدالرحمن بن محمد بن موسى الحمودي